

مَحْبُوبٌ مِنَ اللَّهِ
المحاضرة ٦: بُغْضُ اللَّهِ
أر. سي. سبرول

بَيْنَمَا نَتَابِعُ دِرَاسَتَنَا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ فِي حَلَقَتِنَا الْمَاضِيَةِ، تَكَلَّمْنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ السِّيَادِيَّةِ فِي اخْتِيَارِهِ شَعْبًا لِلخَّلَاصِ. وَكُلَّمَا تَصَارَعْنَا بِشَأْنِ مَسْأَلَةِ اخْتِيَارِ الْمُفَدِّيِّينَ وَالْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَتِمُّ التَّعَاضِي عَنْهُمْ نَسْأَلُ عَنْ حُدُودِ مَحَبَّةِ اللَّهِ. فِي الْوَاقِعِ، عِنْدَمَا نَدْرُسُ رِسَالَةَ رُومِيَّةَ وَالْأَصْحَاحِ ٩ نَرَى إِشَارَاتٍ إِلَى بُغْضِ اللَّهِ، وَلَيْسَ بُغْضُ الْإِنْسَانِ لِلَّهِ، بَلْ بُغْضُ اللَّهِ لِلنَّاسِ. وَهَذَا الْأَمْرُ يَجْعَلُنَا نَرْتَجِفُ فِعْلًا، لِأَنَّنا اعْتَدْنَا التَّفْكِيرَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِلَّهِ أَنْ يَشْعَرَ بِالْبُغْضِ تُجَاهَ خَلِيقَتِهِ.

فَلنُلْقِ نَظْرَةً عَلَى هَذَا النَّصِّ الصَّعْبِ الَّذِي نَجِدُهُ فِي رُومِيَّةِ ٩ حَيْثُ نُصَادِفُ فِكْرَةَ بُغْضِ اللَّهِ. نَبْدَأُ فِي الْأَصْحَاحِ ٩ وَالآيَةِ ٦، حَيْثُ يَقُولُ بُولُسُ "وَلَكِنْ لَيْسَ هَكَذَا حَتَّى إِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ قَدْ سَقَطَتْ. لِأَنَّ لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ، وَلَا لِأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ هُمْ جَمِيعًا أَوْلَادٌ. بَلْ «بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ». أَيُّ لَيْسَ أَوْلَادُ الْجَسَدِ هُمْ أَوْلَادُ اللَّهِ، بَلْ أَوْلَادُ الْمُوعَدِ يُحْسِبُونَ نَسْلًا. لِأَنَّ كَلِمَةَ الْمُوعَدِ هِيَ هَذِهِ: «أَنَا آتِي نَحْوَ هَذَا الْوَقْتِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ». هُنَا نَجِدُ عَقِيدَةَ الْاِخْتِيَارِ؛ "وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ"، يَقُولُ بُولُسُ، "بَلْ رِفْعَةُ أَيْضًا، وَهِيَ حُبْلَى مِنْ وَاحِدٍ وَهُوَ إِسْحَاقُ أَبُونَا. لِأَنَّهُ وَهْمَا لَمْ يُولَدَا بَعْدُ، وَلَا فَعَلَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا، لَكِنِّي يَتَبَيَّنُ قَصْدُ اللَّهِ حَسَبَ الْاِخْتِيَارِ، لَيْسَ مِنَ الْأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو، قِيلَ لَهَا: «إِنَّ الْكَبِيرَ يُسْتَعْبَدُ لِلصَّغِيرِ». كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عَيْسُو».

هُنَا يَطْرَحُ بُولُسُ السُّؤَالَ مُسْتَبَقًا رُدُودَ فِعْلٍ قُرَائِهِ "فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ عِنْدَ اللَّهِ ظُلْمًا؟ حَاشَا! لِأَنَّهُ يَقُولُ لِمُوسَى: «إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ»، (هَذِهِ سِيَادَةُ نِعْمَةِ اللَّهِ)، "وَأَتْرَافُ عَلَى مَنْ أَتْرَافُ". فَإِذَا لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلَا لِمَنْ يَسْعَى، بَلْ لِلَّهِ الَّذِي يَرْحَمُ". ثُمَّ جَاءَ فِي الْآيَةِ ١٨: "فَإِذَا هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَقْسِي مَنْ يَشَاءُ". إِذَا، بَيْنَمَا نَنْتَرِقُ إِلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ نَجِدُ التَّصْرِيحَ الْأَضْعَبَ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ "أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عَيْسُو". بِالطَّبَعِ، حِينَ يَسْتَعْمِلُ بُولُسُ هَذَا الْأَسْلُوبَ إِنَّهُ يَسْتَهْلُهُ بِكَلِمَةِ "مَكْتُوبٌ"، لِأَنَّ مَا يَكْتُبُهُ فِي رُومِيَّةِ ٩ تَسْعَةَ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِبُغْضِ اللَّهِ لِعَيْسُو هُوَ اقْتِبَاسٌ مُبَاشِرٌ مِنَ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ مِنْ سِفْرِ النَّبِيِّ مَلَاخِي فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ.

هُنَا، نَقْرَأُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى النَّصَّ الَّذِي جَاءَ فِيهِ أَنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ شَعْبَهُ، فِي الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ. سَأُنْعِشُ ذَاكِرَتِكُمْ، حَيْثُ نَقْرَأُ فِي الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ ثِقَلُ كَلِمَةِ الرَّبِّ لِإِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ مَلَاخِي "أَحْبَبْتُكُمْ، قَالَ الرَّبُّ. وَقُلْنَا: بِمَا أَحْبَبْتَنَا؟ أَلَيْسَ عَيْسُو أَخًا لِيَعْقُوبَ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عَيْسُو". كَيْفَ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَفْهَمَ ذَلِكَ؟ تُوَجَدُ

طُرُقٌ عِدَّةٌ لِنَتَّأُولِ هَذَا النَّصِّ الصَّعْبِ، وَقَدْ تَتَّوَلَّهُ مُفَسِّرُونَ مُخْتَلِفُونَ بِطُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ. الطَّرِيقَةُ النَّمُوذَجِيَّةُ لِتَفْسِيرِ هَذَا النَّصِّ الصَّعْبِ تَقْضِي بِالتَّأْمُلِ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ أَوَّلًا عَلَى لِسَانِ مَلَاخِي، وَمِنْ ثَمَّ حِينَ تَكَرَّرَتْ عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ بُوْلَسَ فِي رِسَالَةِ رُومِيَّةٍ، بِبَسَاطَةٍ كَأَسْلُوبِ الْكَلَامِ، كَنُوعٍ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ وَالِدِّرَاسَاتِ الْعِبْرِيَّةِ وَكَتَعْبِيرِ اصْطِلَاحِيٍّ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤَخَذَ بِالْمَعْنَى الْحَرْفِي الْمُبَاشِرِ، بَلْ إِنَّهُ يُعَبَّرُ بِبَسَاطَةٍ عَنْ فِكْرَةٍ نَوْعٍ مِنَ النَّقْضِيلِ.

وَنَمَّةٌ خَلْفِيَّةٌ كِتَابِيَّةٌ وَسَابِقَةٌ لِتَفْسِيرِ كَلِمَاتٍ مِنْ هَذَا النَّوعِ فِي طَرِيقَةِ الْكَلَامِ هَذِهِ عَلَى أَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ النَّقْضِيلِ، حَيْثُ إِنَّا إِنْ تَرَجَمْنَاهَا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، فَإِنَّا نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُعْلِنُ بِبَسَاطَةٍ أَنَّهُ فَضَّلَ يَعْقُوبَ عَلَى عَيْسُو، أَوْ أَنَّ مَحَبَّتَهُ لِيَعْقُوبَ أَعْظَمَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لِعَيْسُو. إِنَّهُ يُحِبُّ الْإِثْنَيْنِ، لَكِنَّهُ يُحِبُّ أَحَدَهُمَا أَكْثَرَ مِنَ الْآخَرِ، وَبُعْيَةِ التَّعْبِيرِ عَنِ النَّقْضِيلِ وَعَنْ شِدَّةِ الْمَحَبَّةِ الَّتِي يُكِنُّهَا لِيَعْقُوبَ مُقَارَنَةً بِعَيْسُو عَنْ طَرِيقِ التَّبَايُنِ، الْمَحَبَّةُ الْأَعْظَمُ الَّتِي يُكِنُّهَا اللَّهُ لِيَعْقُوبَ تَجْعَلُ مِنَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي يُكِنُّهَا لِعَيْسُو تَبْدُو مِثْلَ الْبُغْضِ لَدَى الْمُقَارَنَةِ بَيْنَهُمَا.

يُوجَدُ أَسَاسٌ تَارِيخِيٌّ لِذَلِكَ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، فَلُنَلِّقَ نَظْرَةً عَلَى ذَلِكَ فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ. فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ فِي الْأَصْحَاحِ ٢٩ نَجِدُ سَرْدًا لِعِلَاقَةِ يَعْقُوبَ بِرُوحَتَيْهِ رَاحِيلَ وَلَيْئَةَ، تَذَكَّرُوا كَيْفَ أَنَّ حَمَاهُ لَابَانَ خَدَعَهُ حَيْثُ تَوَصَّلَا إِلَى اِتِّفَاقٍ يَقْضِي بِأَنْ يَخْدُمَ لَابَانَ لِسَبْعِ سَنَوَاتٍ، وَبِأَنَّهُ نَتِيجَةَ تِلْكَ الْعُبُودِيَّةِ يُعْطِيهِ لَابَانُ ابْنَتَهُ رَاحِيلَ زَوْجَةً. وَبَعْدَ أَنْ خَدَمَ سَبْعَ سَنَوَاتٍ، فِي تِلْكَ الْأَتْنَاءِ لَمْ تَكُنِ الْإِبْنَةُ الْبُكْرُ قَدْ تَزَوَّجَتْ، فَتَرَاجَعَ لَابَانُ عَنِ الْإِتِّفَاقِ وَدَسَّ لَيْئَةَ فِي فِرَاشِ يَعْقُوبَ، وَقَالَ لَهُ "إِنَّ أَرَدْتَ رَاحِيلَ فَسَيَكُونُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ لَيْئَةَ أَوَّلًا، وَأَنْ تَعْمَلَ لِسَبْعِ سَنَوَاتٍ أُخْرَى لِكَيْ تَحْصُلَ عَلَى رَاحِيلَ". وَهُوَ كَانَ مُلْتَزِمًا جَدًّا بِرَاحِيلَ لِذَرَجَةِ أَنَّهُ وَافَقَ عَلَى ذَلِكَ لِكَيْ يَرَبِّحَ يَدَهَا فِي الزَّوْاجِ.

وَالآنَ نَتَقَفَّدُ هَذِهِ الْعَائِلَةَ الَّتِي تَأَسَّسَتْ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَنَقْرَأُ فِي الْآيَةِ ٣١ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٢٩ مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ "وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ لَيْئَةَ مَكْرُوهَةٌ"، لَاحِظُوا أَنَّ وَصْفَ عِلَاقَةِ يَعْقُوبَ بِلَيْئَةَ، زَوْجَتِهِ الْأُولَى، هُوَ أَنَّ لَيْئَةَ مَكْرُوهَةٌ. "فَفَتَحَ رَجْمَهَا، وَأَمَّا رَاحِيلُ فَكَانَتْ عَاقِرًا. فَحَبِلَتْ لَيْئَةُ وَوَلَدَتْ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ رَأُوبِينَ. لِأَنَّهَا قَالَتْ: «إِنَّ الرَّبَّ قَدْ نَظَرَ إِلَيَّ مِثْلِي. إِنَّهُ الْآنَ يُحِبُّنِي رَجُلِي». وَحَبِلَتْ أَيْضًا وَوَلَدَتْ ابْنًا، وَقَالَتْ: «إِنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ أَنِّي مَكْرُوهَةٌ فَأَعْطَانِي هَذَا أَيْضًا». فَدَعَتِ اسْمَهُ «شَمْعُون». وَحَبِلَتْ أَيْضًا وَوَلَدَتْ ابْنًا، وَقَالَتْ: «الآنَ هَذِهِ الْمَرَّةُ يَقْتَرِنُ بِي رَجُلِي، لِأَنِّي وَوَلَدْتُ لَهُ ثَلَاثَةَ بَنِينَ».

مَعَ كُلِّ حَمَلٍ مِنْ حَالَاتِ الْحَمَلِ الثَّلَاثِ تِلْكَ كَانَتْ لَيْئَةُ تَرْجُو أَنْ يُحِبَّهَا يَعْقُوبُ، لِأَنَّهُ كَمَا يَبْدُو، وَفِي تَصَوُّرِهَا عَلَى الْأَقْلِ، وَوَفَّقَ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ أَنَّهُ تَصَوَّرَ اللَّهُ، كَانَتْ غَيْرَ مَحْبُوبَةٍ. لَكِنْ إِنْ رَجَعْنَا آيَةً وَاحِدَةً إِلَى الْوَرَاءِ فِي الْآيَةِ ٢٩، لَا، فَلَنَرْجِعَ إِلَى الْآيَةِ ٢٨ "فَفَعَلَ يَعْقُوبُ هَكَذَا. فَأَكْمَلَ أَسْبُوعَ هَذِهِ، فَأَعْطَاهُ رَاحِيلَ ابْنَتَهُ

زَوْجَةً لَهُ. وَأَعْطَى لِابْنِ رَاحِيلِ ابْنَتَهُ بَلْهَةً جَارِيَتَهُ جَارِيَةً لَهَا. فَدَخَلَ (يَعْقُوبُ) عَلَى رَاحِيلَ أَيْضًا. وَالْيَكْمُ بَيْتُ الْقَصِيدِ؛ وَأَحَبَّ أَيْضًا رَاحِيلَ أَكْثَرَ مِنْ لَيْئَةَ".

لاحظوا أنه لم يقل "أحببت راحيل وأبغضت لئئة" أو "أحب راحيل وأبغض لئئة". كل ما جاء في الآية التاسعة والعشرين هو أن يعقوب أحب راحيل أكثر مما أحب لئئة، وأنه كان يوجد تفضيل ويعد أعظم من المحبة يشعر به حيال الواحدة مقارنة بالأخرى. لكن من خلال المقارنة، بم شعرت لئئة؟ بأنها غير محبوبه بتاتا. ولما قالت "لقد أنجبت له ثلاثة بنين لعله يحبني" فهي كانت تقصد الاتي "ربما سيحبني مثلما يحب أختي راحيل". إذا، نجد هنا تلك الفكرة العبرية حيث توجد درجة من المحبة، حيث إن الواحدة أعلى من الأخرى، بحيث إنه عن طريقه التباين، المحبوبة أقل من الأخرى تعتبر غير محبوبه، أو تقيض المحبة وهو البغض.

وإن لم يكن الأمر واضحاً في ذلك النص، فلنذهب إلى العهد الجديد لننظر إلى ما قد يكون المثل الأبرز على هذا النوع من الأسلوب الذي نجده في العهد الجديد. نجد ذلك في إنجيل لوقا في الأصحاح ١٤ في حديث ليسوع. حيث إننا في الآية ٢٥ من الأصحاح ١٤ من إنجيل لوقا نقراً ما يلي: "وكان جموع كثيرة سائرين معه، فالتفت وقال لهم: «إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وأمرأته وأولاده وأخوته وأخواته، حتى نفسه أيضاً، فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً. ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً. ومن منكم وهو يريد أن يبني برجاً لا يجلس أولاً ويحسب النفقة".

ثم يتابع ويستعمل المزيد من الأمثال التوضيحية تبين كيف أن الإنسان الحكيم وقبل القيام بأي التزام عليه أن يفكر في العواقب، عليه أن يفكر في الكلفة. وهؤلاء الأشخاص الذين يريدون القفر في عربة يسوع وأن يركبوا في قطاره وأن يجلسوا هناك ويتألوا كل البركات التي يعطيها وهو يشفي المرضى والعمي والصم وغيرهم، إنه يقول لهم "مهلاً إن أردت أن تكون تلميذاً لي فتمم ثمن يجب دفعه، توجد كلفة كبيرة للأمر. توقف واحسب تلك الكلفة قبل أن تتبعني. لأنك إن لم تكن مستعداً لتبغض أمك وأباك ولتبغض أولادك ولتبغض حياتك لا يمكنك أن تكون تلميذاً لي".

إذا، يقدم يسوع لبني جيله شرطاً أساسياً للتلمذة، وهو بغض العائلة. إذا، ها إن يسوع الذي يحفظ ناموس الله بشكل كامل خلال حياته، والذي فهم الوصية الخامسة بوضوح التي تدعو إلى أن يكرم أباه وأمه وأن يحب قريبه كنفسه، لم يفهم أحد بعد المحبة المطلوب في شريعة الله مثلما فعل يسوع، هل يعني ذلك حرفياً أنك إن أردت الانضمام إلى جماعة تلاميذي فيجب أن تمتلئ صغينة وعداوة وحقدا تجاه والدك؟ هل يجب أن تكره أولادك؟ لا، إنه يستعمل مجازاً لغة التفضيل العبرية هذه، إنه يقول "سأطلب منكم التزاماً كبيراً وتفانياً كبيراً

وَمَحَبَّةَ كَبِيرَةٍ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَكُونُوا تَلَامِيذِي، لِدَرَجَةِ أَنْتُمْ إِنْ أَجْرَيْتُمْ مُقَارَنَةً فَأَنْتُمْ بِالتَّالِي تَبْغِضُونَ وَالِدَيْكُمْ، وَتَكْرَهُونَ عَائِلَتَكُمْ، وَتَكْرَهُونَ أَوْلَادَكُمْ، وَتَكْرَهُونَ حَيَاتِكُمْ بِالمُقَارَنَةِ".

إِذَا، أَظُنُّ أَنَّنَا نُنْذِرُكَ ذَلِكَ، بِالطَّبْعِ، حِينَ نَقْرَأُ ذَلِكَ، لَمْ يَسْبِقْ أَنْ جَاءَ إِلَيَّ أَحَدُهُمْ قَائِلًا "لِمَاذَا يَسُوعُ هَذَا، الَّذِي يُفْتَرَضُ بِهِ أَنْ يَكُونَ مَحَبَّةَ اللَّهِ الْمُتَجَسِّدَةَ، يَقُولُ لِلنَّاسِ إِنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُبْغِضُوا وَالِدِيهِمْ وَأَنْ يُبْغِضُوا أَوْلَادَهُمْ؟" نَحْنُ نَفْهَمُ بِوُضُوحٍ حِينَ نَقْرَأُ هَذَا النَّصَّ أَنَّ لَيْسَ هَذَا مَا أَرَادَ قَوْلُهُ، أَرَادَ إِظْهَارَ تَفَوُّقِ المَحَبَّةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نُكِنِّهَا لَهُ عَلَى جَمِيعِ أُمُورِ هَذَا العَالَمِ، وَمِنْ ضَمَنِهَا أَكْثَرَ مَنْ نُحِبُّ هُنَا. الآنَ، بَعْدَ الإِقَاءِ نَظْرَةٍ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الأمَثَلَةِ فِي الكِتَابِ المُقَدَّسِ، يُمَكِّنُنَا بِسُهولةٍ أَنْ نَسْتَتِجَ قَائِلِينَ: "لَيْسَ عَلَيْنَا أَنْ نَقْلِقَ أَبَدًا بِشَأْنِ مَا إِذَا كَانَ اللَّهُ يُبْغِضُ النَّاسَ أَوْ مَا شَابَهُ".

نَحْنُ نَمِيلُ إِلَى الإِعْتِقَادِ أَنَّ البُغْضَ لَا يَلِيْقُ أَبَدًا بِاللَّهِ. وَأَحَدُ الأُمُورِ الَّتِي يُشَدِّدُ عَلَيْهَا الكِتَابُ المُقَدَّسُ مِرَارًا هُوَ أَنَّنَا بَيْنَمَا كُنَّا لَا نَزَالُ خُطَاةً كَانَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ عَظِيمَةً جِدًّا تُجَاهَنَا، لِدَرَجَةِ أَنَّهُ حَتَّى عِنْدَمَا كُنَّا مُنْفَصِلِينَ عَنْهُ تَعَلَّبَتْ مَحَبَّتُهُ عَلَى عِدَائِيَّتِنَا. وَبِالتَّالِي، لَيْسَ لَدَى اللَّهِ أَيُّ عِدَائِيَّةٍ. لَكِنِّي أَظُنُّ أَنَّكُمْ تَتَفَاجَأُونَ إِنْ قُلْتُمْ إِنْ اللَّهَ أَوْ الكِتَابَ المُقَدَّسَ يَتَكَلَّمُ عَنْ بَعْضِ اللَّهِ تُجَاهَنَا بِقَدْرِ مَا أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَنْ مَحَبَّتِهِ تُجَاهَنَا. وَلَا أَظُنُّ أَنَّنَا نَجِيبُ عَلَى السُّؤَالِ بِشَكْلِ كَامِلٍ إِنْ اعْتَبَرْنَا هَذِهِ المُصْطَلِحَاتِ مُجَرَّدَ أُسْلُوبِ لُغَةٍ عِبْرِيٍّ أَوْ لُغَةٍ تَفْضِيلِيٍّ، لِأَنَّهُ يُوجَدُ بَعْدَ فِي مَوْقِفِ اللَّهِ مِنَ الخُطَاةِ يَعْكِسُ نَوْعًا مِنَ الأَشْمِئَزَائِ التَّامِّ وَالْقَرَفِ يَشْعُرُ بِهِ اللَّهُ تُجَاهَ الجِنْسِ البَشَرِيِّ المُتَمَرِّدِ. حِينَ يَعْضَبُ مِنَ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ: "بَعْضَتْ كَرِهَتْ أَعْيَادَكُمْ وَلَسْتُ أَلْتَدُّ بِاعْتِكَافَاتِكُمْ" إِنَّهَا تُشْعِرُنِي بِالْقَرَفِ. الدَّبَائِحُ الَّتِي تُقَدِّمُونَهَا بِرِيَاءٍ رَائِحَتِهَا كَرِيهَةٌ وَمُفْرِفَةٌ. هَذَا أُسْلُوبٌ عَنِيفٌ يُدُلُّ عَلَى غَضَبِ اللَّهِ الشَّدِيدِ جَرَاءَ الرِّيَاءِ وَسَطِّ بَنِي شَعْبِهِ.

لَكِنْ فَلْنَرْجِعْ قَلِيلًا إِذَا أَمَكَّنَ إِلَى العَهْدِ القَدِيمِ، إِلَى سَفَرِ المَزَامِيرِ. لِنُلْقِي نَظْرَةً عَلَى المَزْمُورِ الخَامِسِ ابْتِدَاءً مِنَ الآيَةِ الأُولَى. المَزْمُورُ ٥ الَّذِي يَتَّصِفُ دَعْوَةً إِلَى الإِنْتِبَاهِ، يَبْدَأُ بِالكَلِمَاتِ الآتِيَةِ "كَلِمَاتِي أَصْغِ يَا رَبُّ. تَأْمَلْ صُرَاخِي". هَا إِنَّ صَاحِبَ المَزْمُورِ يُصَلِّي إِلَى اللَّهِ. "اسْتَمِعْ لِصَوْتِ دُعَائِي يَا مَلِكِي وَإِلَهِي، لِأَنِّي إِلَيْكَ أُصَلِّي. يَا رَبُّ بِالْعِدَاةِ تَسْمَعُ صَوْتِي. بِالْعِدَاةِ أُوَجِّهُ صَلَاتِي نَحْوَكِ وَأَنْتَظِرُ". وَالآنَ اسْمَعُوا كَيْفَ أَنَّ كَاتِبَ المَزْمُورِ، وَبِوَحْيِ مِنَ الرُّوحِ القُدْسِ، يَصِفُ شَخْصَ اللَّهِ، "لَأَنَّكَ أَنْتَ لَسْتَ إِلَهًا يُسَرُّ بِالشَّرِّ، لَا يُسَاكِنُكَ الشَّرِيرُ".

نَذْكُرُ شَكْوَى حَبَقُوقَ حِينَ سَمَحَ اللَّهُ بِوُقُوعِ شَرِّ بُدُونِ رَادِعٍ وَلَا عِقَابٍ فِي الأُمَّةِ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْهَمَ ذَلِكَ، قَالَ "يَا رَبُّ، أَنْتَ إِلَهٌ قُدُّوسٌ جِدًّا لِدَرَجَةِ أَنْ "عَيْنِيكَ أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ"، إِنَّهُ الشُّعُورُ نَفْسُهُ الَّذِي يَصِفُهُ صَاحِبُ المَزْمُورِ هُنَا، وَيَقُولُ "لَا يَقِفُ المُفْتَخِرُونَ قُدَامَ عَيْنَيْكَ. أَبْغَضْتَ كُلَّ فَاعِلِي الإِثْمِ. تُهْلِكُ المُتَكَلِّمِينَ بِالكَذِبِ. رَجُلٌ

الدِّمَاءِ وَالْعَشِّ يَكْرَهُهُ الرَّبُّ". هَلْ تَرَوْنَ ذَلِكَ؟ مَرَّتَيْنِ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مِنَ الْمَزْمُورِ يَتَكَلَّمُ صَاحِبُ الْمَزْمُورِ عَنِ كُرْهِ
اللَّهِ لِلشَّرِّ؛ أَبْغَضْتَ كُلَّ فَاعِلِي الْإِثْمِ، وَكَرِهْتَ رَجُلَ الدِّمَاءِ وَالْعَشِّ، لَيْسَ أَنَّ اللَّهَ يَنْزَعِجُ قَلِيلًا مِنْ رَجُلِ الدِّمَاءِ أَوْ
مِنْ رَجُلِ الْكُذْبِ وَالْعَشِّ وَالْخِدَاعِ، بَلْ إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُهُ. هَذَا كَلَامٌ قَوِيٌّ، وَأَطْنُ أَنَّهُ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَأْخُذَ ذَلِكَ عَلَى مَحْمَلِ
الْحَدِّ.

نَحْنُ نَقُولُ دَائِمًا هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْمُبْتَدَلَةَ "اللَّهُ يَكْرَهُ الْخَطِيئَةَ لَكِنَّهُ يُحِبُّ الْخَاطِيَّ"، هَذَا هُرَاءُ. اللَّهُ لَا يُرْسِلُ الْخَطِيئَةَ إِلَى
الْجَحِيمِ، إِنَّهُ يُرْسِلُ الْخَاطِيَّ إِلَى الْجَحِيمِ، لِأَنَّهُ يَمَغْتُ الْخَاطِيَّ غَيْرَ التَّائِبِ، الَّذِي يُصْبِحُ مَوْضِعَ غَضَبِهِ. وَالسَّبَبُ
الَّذِي يَجْعَلُنَا نُصَارِعُ جَرَاءَ هَذِهِ الْأَخْتِلَافَاتِ، حَيْثُ أَنَّهُ مِنْ نَاحِيَةِ يَتَكَلَّمُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنِ الْبُعْدِ الْمُدْهِلِ لِمَحَبَّةِ
اللَّهِ لِأَنَّهُ أَحَبَّنَا وَنَحْنُ بَعْدُ خَطَاةٌ، لَكِنَّهُ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى يَتَكَلَّمُ عَنِ مَقْتِهِ إِيَّانَا، وَعَنْ كَوْنِنَا مُقْرِفِينَ فِي عَيْنَيْهِ وَلَا
يُمْكِنُهُ تَحْمَلُ النَّظَرِ إِلَيْنَا بِسَبَبِ آثَامِنَا.

مَعْنَى ذَلِكَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَهْيَا الْأَحْبَاءَ هُوَ أَنَّهُ تُوْجَدُ حُدُودٌ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ، وَلَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَفْهَمَ الْمَحَبَّةَ أَوْ مَوْقِفَ اللَّهِ
تُجَاهَ خَلِيقَتِهِ السَّاقِطَةِ عَلَى أَنَّهُ حَضْرِيًّا مَوْقِفٌ مَحَبَّةٍ، لِأَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ يُعَدِّلُ تَمْجِيدَهُ لِعَظْمَةِ مَحَبَّةِ اللَّهِ الْفَائِقَةِ
بِتِلْكَ التَّحْذِيرَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِحُدُودِ مَحَبَّتِهِ، الَّتِي وَعِنْدَ الْجَانِبِ الْآخَرَ لَهَا يُوجَدُ الْعُضْبُ الْإِلَهِيُّ وَيُوجَدُ الْمَقْتُ الْإِلَهِيُّ.
أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَا أَقُولُهُ هُنَا يَتَعَارَضُ مَعَ الرِّسَالَةِ الَّتِي يَتِمُّ وَعَظُّهَا كُلَّ يَوْمٍ فِي مُجْتَمَعِنَا وَأَرْضِنَا. نَمَّةَ مَفْهُومٍ أَسْمَعُهُ
كُلَّ يَوْمٍ مِنْ وَعَاطِ لَا أَجِدُهُ أَبَدًا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَهُوَ الْمَفْهُومُ الْآتِي: مَحَبَّةُ اللَّهِ غَيْرُ الْمَشْرُوطَةِ. سَأَدْرُسُ
ذَلِكَ تَفْصِيلًا فِي مُحَاضَرَتِنَا الْمُقْبِلَةِ. أَمَّا الْآنَ فَسَأُكْتَفِي بِقَوْلِ ذَلِكَ: أَوَّلًا، أُرِيدُ طَرْحَ سُؤَالٍ، مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ هَذِهِ
الْفِكْرَةُ؟ أَلَمْ مَحَبَّةُ اللَّهِ غَيْرُ مَشْرُوطَةٍ؟ وَمَاذَا يَبِينُ هَذَا الْمَفْهُومُ؟

لِنَفْرِضَ أَنِّي أَعْطُ أَمَامَ غَيْرِ مُؤْمِنِينَ، وَأَنِّي أَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ "اللَّهُ يُحِبُّكُمْ بِدُونِ شُرُوطٍ". قِيلَ لَنَا فِي مَعْهَدِ اللَّاهُوتِ
إِنَّكَ حِينَ تَعْطُ فَأَنْتَ لَا تُشَارِكُ عِظَةً وَاحِدَةً بَلْ تُشَارِكُ ثَلَاثَ عِظَاتٍ، الْعِظَةُ الَّتِي يَسْمَعُهَا النَّاسُ، وَالْعِظَةُ الَّتِي
ظَنَنْتَ أَنَّكَ وَعَظْتَنَاهَا، وَالْعِظَةُ الَّتِي تَمَّتْ مُشَارَكَتُهَا فِعْلِيًّا، وَهِيَ لَيْسَتْ مُنْطَابِقَةً، إِذَا، يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَ ذَلِكَ. أَنَا أَسْأَلُ
نَفْسِي "مَاذَا يَسْمَعُ هَذَا الْإِنْسَانُ غَيْرَ التَّائِبِ وَغَيْرَ الْمُؤْمِنِ حِينَ يَسْمَعُ إِلَى عِظَةٍ وَيَسْمَعُ هَذَا الْإِعْلَانَ "اللَّهُ يُحِبُّكَ
بِدُونِ شُرُوطٍ؟" دَعْنِي أُطْلِعُكَ عَلَى مَا يَسْمَعُهُ، إِنَّهُ يَسْمَعُ مَا يَلِي "اللَّهُ يُحِبُّنِي كَمَا أَنَا، لَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَتُوبَ عَنْ
خَطَايَايَ، لَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَى مُخَلَّصٍ، لَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَقْلَقَ بِشَأْنِ الدَّهَابِ إِلَى الْجَحِيمِ، لِأَنَّ اللَّهَ الَّذِي يُحِبُّ
الْجَمِيعَ بِلا شُرُوطٍ لَنْ يُرْسِلَ أَحَدًا إِلَى الْجَحِيمِ. إِذَا، بِإِمْكَانِي الْاسْتِمْرَارُ فِي عَيْشِ حَيَاةٍ جَهَنَّمِيَّةٍ كَمَا أَنَا بِدُونِ أَنْ
أَقْلَقَ مُجَدِّدًا بِشَأْنِ الْإِسَاءَةِ إِلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُ لَا يَشْعُرُ أَبَدًا بِالْإِسَاءَةِ، لِأَنَّ مَحَبَّتَهُ غَيْرُ مَشْرُوطَةٍ".

يُمْكِنُنِي التَّفْكِيرُ فِي رِسَالَةِ أَكْثَرِ خُطُورَةٍ أَنْقَلُهَا لِلنَّاسِ، بَدَلًا مِنَ الْوُقُوفِ وَإِعْلَانِ مَحَبَّةِ اللَّهِ غَيْرِ الْمَشْرُوطَةِ. أَمَّا الدَّافِعُ لِذَلِكَ طَبْعًا، فَهُوَ أَنَّ الْوَاعِظَ الَّذِي اخْتَبَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ وَاخْتَبَرَ مَحَبَّةَ اللَّهِ الْفَادِيَّةَ، مَعْمُورٌ جِدًّا بِمَحَبَّةِ اللَّهِ الْفَادِيَّةِ تِلْكَ، لِذَرَجَةِ أَنَّهُ يُرِيدُ التَّعْبِيرَ عَنْهَا بِأَقْوَى الْعِبَارَاتِ. لِذَا فَهُوَ يَقُولُ "مَحَبَّةُ اللَّهِ رَائِعَةٌ جِدًّا، إِنَّهَا قَوِيَّةٌ جِدًّا، إِنَّهَا فَائِزَةٌ جِدًّا لِذَرَجَةِ أَنَّهُ يُمَكِّنُنَا الْقَوْلَ إِنَّهَا غَيْرُ مَشْرُوطَةٍ". لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ لِأَنَّكَ تُشَارِكُ رِسَالَةَ خَاطِئَةٍ. وَضَعَ اللَّهُ شَرْطًا أَسَاسِيًّا لِخَلَاصِ أَيِّ إِنْسَانٍ؛ عَلَى هَذَا الْإِنْسَانِ أَنْ يَقْبَلَ الْمَسِيحَ بِالْإِيمَانِ وَأَنْ يَتَّقَ بِهِ وَحْدَهُ، وَإِلَّا فَسَيَعْرِفُ هَذَا الشَّخْصُ الْعَضْبَ الْإِلَهِيَّ فَقَطُ إِلَى الْأَبَدِ. ثَمَّةَ مَحَبَّةٌ مُنْبَثِقَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَطَالُ النَّاسَ أَجْمَعِينَ، وَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ عَنِ مَحَبَّتِهِ الَّتِي تُخَلِّصُ، هَذِهِ هِيَ الْمَحَبَّةُ الَّتِي سَنَدْرُسُهَا فِي مُحَاضَرَتِنَا الْمُقْبِلَةِ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سِنْبُولُ هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقَدِيسِ أَنْدْرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسٍ لِكَلِيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كَلْنَا لَاهُوتِيُونَ" (Everyone's A Theologian).